الفرد وآليات تجسيد المواطنة في فلسفة جون لوك

The individual and the mechanism of embodiment citizenship in john locke philosophy

بن قرنة مخطارية ،
bengarnamokhtaria@gmail.com
بوشيبة محمد
bouchiba.univoran2@gmail.com
جامعة وهران 2 محمد بن احمد قسم فلسفة ،

تاريخ الاستلام: 2020/10/08 تاريخ القبول: 2020/11/29

ملخص:

لقد شهد مفهوم المواطنة تغييرات عديدة في مضمونه ودلالته. فلم يعد فقط يشير إلى العلاقة بين الفرد والدولة كما ساد سابقا. مع حلول العصر الحديث عاد الاهتمام بمفهوم المواطنة بعد أن طغى الاهتمام بمفهوم الفرد .

كان لجون لوك تأثير بالغ الأهمية في الفكر الفلسفي السياسي عموماً والبريطاني على وجه الخصوص. حيث تم التطرق في هذه الورقة البحثية إلى الفرد وآليات تجسيد المواطنة في فلسفة لوك كما ظهرت معه مواطنة تحترم الفرد وتتحدث عن الحرية والملكية وغيرها. مواطنة انتقلت بالفرد من مواد قانونية نظرية إلى ممارسة ومشاركة في العديد من النشاطات التي تسهم في حفظ مكانته داخل الدولة.

الكلمات المفتاحية: الفرد.، جون لوك.، الحرية.، المواطنة.، التسامح.

The concept of citizenship has witnessed various changes in its content and its significances .It no longer means the direct relationship between the individual and the contry as it used to. Instead contry to what has been , i.e.

Emphasizing on the individual, today, big importance is given to the concept of citizenship

Generally, john locke had had an immense impact on the philosophical political thought, namely, the british one. Hence, in this research, we tackled the link between the individual and embodiment of citizenship in locke's philosophy. With the latter, anew meaning of citizenship appeared, a citizenship which respects the individual and speaks about his/her freedom, properties...etc, a citizenship which moved the individual from a theoreticol legal perspective into one

which makes him⁄her practice and practicipate in many activities that preserve his⁄her status in the country.
Keywords: Individual; John Locke; Liberty; Citizenship; Tolerance.
بن قرنة مخطارية: bengarnamokhtaria@gmail.com

مقدّمة:

مع سقوط معطيات الحياة الإقطاعية ظهر أسلوب جديد من التفكير، أسلوب عقلاني وعلمي بدأ تدريجيًا يحل مكان النظريات الدينية التقليدية. وأصبح التعامل داخل المجتمع يعطي الأولوية للفرد وتحرره وليس الحفاظ على تضامن الجماعات الاجتماعية. عُرف القرن السابع عشر بانتشار نظريات الحقوق الطبيعية التي وهبت الأفراد حقوقًا سابقة على وجود الدولة. ويعتبر أصحاب هذه النظرية أنّ وظيفة المجتمع السياسي يجب أن تكون حماية مصالح واحتياجات الفرد الذي لم يكن موضع اهتمام إلا من حيث هو موضوع للحكم والقيادة في علاقته بالسلطة أو مادة للتشكيل باعتباره وحدة بنائية في المنظومة الاجتماعية، غير أنّ الأفكار التي تناولتها الفلسفة الحديثة تعد بمثابة الثورة على جميع النظم الكلاسيكية خاصة في تناولها علاقة الفرد بالدولة، وإعادة النظر في دور الإنسان الفرد وإعطائه شرعية قانونية.

يعد الطرح السابق بمثابة موقف متميز استقر في فلسفة جون لوك[*] John Locke، بدرجة أنّ أهميته السياسية تؤخذ أحيانًا كإحدى المسلمات. فهو انطلق بالفرد من دولة السلطة الاستبدادية القائمة على شرعية العناية الإلهية إلى دولة المؤسسات والنظام الديمقراطي. حيث يُعتبر المواطن محور اهتمام أنشطة الدولة، وذلك لتمكينه من ممارسة مواطنته وفق أسس قانونية، وهذه الممارسة تحتاج إلى آليات تتجسد بها على الواقع، فأصبح من الضروري توجيه المواطنة لخدمة الفرد والإنسانية، وفي هذا المقال سنحاول الإحاطة بالتصور الذي قدمه لوك حول الفرد وآليات تجسيد المواطنة، محاولين الإجابة في الوقت ذاته على الإشكالية التالية: فكيف استطاعت فلسفة جون لوك بدفع

الفرد نحو تجسيد مواطنة وتعزيز حقوقه؟ وما مدى تكريس مبدأ المواطنة لحقوق الإنسان من خلال فلسفة جون لوك؟ ومن أجل الاقتراب أكثر من فهم الإشكالية حاولنا الوقوف على تحديد مفهوم الفرد والمواطنة.

أولا: مفهوم الفرد Individial :

1ـ 1 الفرد لغة: ورد في لسان العرب "الفرد أي الوتر، والجمع أفراد وفرادى على غير قياس. الفرد نصف الزوج، والفرد أيضا لا نظير له، أي أنّه منقطع القرين لا مثيل له."[1] وتأتي كلمة "تفرد بمعنى انعزل وتميز عن غيره، والفرد هو المتفرد المتميز عن القطيع أو الجماعة : أفرد زيد بالأمر أي كان فيه فرداً لا نظير له."[2]

والفرد هو ما لا يمكن تسمية أجزائه باسم الكل، فالرجل فرد لأنّ قطعة منه لا تسمى رجلاً ـ والجنس ليس فرداً لأنّه يمكن أن يقابل على أنواعه.[3]

1ـ 2 الفرد اصطلاحا: يقول جميل صليبا: "الفرد في اصطلاح الفلاسفة هو كل موضوع فكري معين مقيد بقيد التشخص تؤلف أجزائه كلاًّ واحداً، والفرد في علم النفس مرادف للشخص الطبيعي من جهة ما هو متميز عن الآخرين بهويته ووحدته، أو من جهة ما هو ذو صفات خاصة مختلفة عن صفات مشتركة بينه وبين أبناء جنسه."[4]

والفرد في علم الاجتماع هو" وحدة من الوحدات التي يتألف منها المجتمع، كالمواطن في الدولة، فهي آحاد حقيقة يتألف منها الجسم الاجتماعي." [5] وفي علم الأخلاق والسياسة "يطلق على القول أنّ قيمة أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به، لأنّ الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة، فالمثل الأعلى للسياسة الصحيحة تحرير الفرد، وتنمية نشاطه الذاتي".[6]

ثانيا: مفهوم المواطنة Citizenship :

يعتبر مصطلح المواطنة من بين أهم المفاهيم السياسية في الفكر الفلسفي الحديث، التي تبلورت في إطار التطور التاريخي للممارسات الديمقراطية. على الرغم من أزمة المفاهيم والتصورات التي رافقت المتغيرات المتسارعة خلال

القرن السابع عشر، حيث أدت إلى تعدد أبعاد وقيم مصطلح المواطنة مما جعل الوقوف على دلالته العامة من القضايا المعقدة. انطلاقا من الأهمية البالغة لهذاالمصطلح حاولنا الوقوف على تعريف يقربنا للأصل اللغوي والاصطلاحي للمواطنة.

2ـ 1 المواطنة لغة: تعني المواطنة في أبسط معانيها " الارتباط بالأرض والولاء للوطن، جاء في لسان العرب أن الوطن: هو المنزل الذي نقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله،ووطن بالمكان أي أقام به وأوطنه واتخذه محلا، ويُقال : أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه، وأوطنتُ الأرض واستوطنتها أي اتخذتها محلا. [7]

إنّ لفظة Citizen الإنجليزية وCitoyen الفرنسية اشتقا من الأصل اللاتيني Civitas الذي يشير إلى المواطن والذي ارتبط تاريخيا بمفهوم دولة المدينة[**]عند اليونان والرومان قديما، وكلمة مواطن "تعني ذلك الرجل الذي غادر مجاله الخاص ليمارس الحرية السياسية مع نُظرائه". [8]

كما تعني المواطنة Citizen بالإنجليزية الساكن والقاطن، الأمر نفسه باللغة الفرنسية حيث أنّ "الأصل اللغوي يؤيد بشكل تام الاشتقاق اللغوي لمصطلح مواطن بالفرنسية Citoyen المأخوذ من كلمة المدينة Cité وتعني جماعة المواطنين الذين يتمتعون بحقوق محددة في إطار مدينة معينة، حيث من الشائع اعتبار ساكني المدينة مواطنين، بينما الغرباء ممن يقيمون خارج المدينة يعتبرون من الرعايا".[9]

ويحدد جميل صليبا معنى المواطنة في معجمه الفلسفي بأنّها "مشتقة من الفعل واطن: واطن القوم، عاش معهم في وطن واحد، ومنه المواطن هو الفرد الذي يتمتع بالحقوق التي يتمتع بها أبناء دولته أو مدينته"[10]. من الملاحظ أنّ قواميس اللغة العربية تخلو من كلمة المواطنة، بينما تُورد لفظ الوطن الذي

قصدت به إقامة الإنسان،"وهذا يعود إلى غياب المواطن كمشارك وفكرة المواطنة كعملية مشاركة".[11]

2ـ 2 المواطنة اصطلاحا : لقد عبر مفهوم المواطنة في كل حقبة تاريخية عن التركيبة الثقافية والسياسية والأخلاقية لتلك الفترة. نجد الموسوعة العربية العالمية تعرف المواطنة "بأنّها اصطلاح يشير إلى الانتماء أمة أو وطن"[12] ورد في الموسوعة السياسية لعبد الوهاب الكيلاني أنّ المواطنة هي"صفة للمواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى وطن"[13] . واصطلاحا أيضا يقصد بها عموما "الالتزامات المتبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع معين،وعليه في الوقت ذاته واجبات يتحتم عليه أداؤها"[14].

أما في قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على أنّها "مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) من خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة عن طريق القانون."[15] كما تشير دائرة المعارف البريطانية أنّ المواطنة "علاقة بين الفرد والدولة يحددها قانون تلك الدولة...وأنّها تمنح المواطن حقوقا سياسية كحق الانتخاب وتولي المناصب العليا"[16]. نجد علي خليفة الكواري يقول في كتابه المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية : "لقد استقر مبدأ المواطنة في الفكر السياسي المعاصر على مفهوم تاريخي شامل ومعقد له أبعاد عديدة ومتنوعة منها ما هو مادي قانوني وآخر سلوكي ثقافي"[17]. وبالتالي تعتبر المواطنة فكرة اجتماعية وقانونية ساهمت في تطور المجتمع الإنساني بشكل كبير، كما دفعت بالدولة إلى تكريس مبدأ المساواة والعدل والإنصاف،وكذا الديمقراطية والشفافية وضمان حقوق الإنسان.

ثالثا: آليات تعزيز المواطنة: لقد اتخذ مفهوم المواطنة خلفية سوسيو فلسفية بلورت الطابع العام للمصطلح في كل حقبة زمنية وعبر مختلف العصور التي مرت به البشرية، مما أدى إلى ظهورها في العديد من التوجهات اختلفت من فيلسوف إلى آخر، وحسب الموروث الثقافي لكل شخص أو فترة، احتوى مفهوم المواطنة على مضامين سياسية واجتماعية وثقافية تشكلت معه عبر قرون عديدة. كان يوصف الفرد أحيانا بالمواطن وأحيانا يحرم من هذه الصفة بداية من المواطن اليوناني الحر مرورا بالعصور الوسطى حيث اعتبر الفرد الذي يعتنق الدين السائد مواطنا، وصولا إلى الدولة القومية التي اعتُبر المواطن فيها هو الفرد الذي ينتمي للأمة المكونة للدولة. هذا ما جعل الفكر السياسي يعيش أزمة حقيقة إبان حقبة العصور الوسطى يعود السبب في ذالك إلى القيود التي كان يخضع لها الفرد وقتها، حيث انتشرت أكثر من سلطة تتحكم في أفعال المواطن وتوجهاته الفكرية.

لذلك يعتبر المؤرخين الغربيين عصر النهضة هو صحوة أوروبا الحقيقة وخاصة على الصعيد السياسي حيث عرفت المواطنة في هذه المرحلة حالة ميلاد إن صح القول، وهذا ليس تفريقا بين مراحل تطور المواطنة وإنّما وقوفا على ما طرأ للمصطلح من تغيير . هذا ما الكتب الخاصة بنظريات العقد الاجتماعي(***) تحظى اهتماما وشهرة كبيرين خلال القرن السابع عشر،حيث يعتبر جون لوك من أبز فلاسفتها، وقد اقترن "اسم هذا الأخير في تاريخ الفكر السياسي بفلاسفة العقد الاجتماعي، الذين حاولوا تفسير نشوء المجتمع السياسي من خلال نظرياتهم المتباينة، التي كانت بمثابة مرجعا نظريا لجميع الساسة في شتى الحقب والعصور"[18].

المواطنة لدى جون لوك هي "العلاقة بين المجتمع والسلطة، حيث اعتبر الوفاق الاجتماعي تجسيد لمفهومها التي تكفله الإرادة العامة للمجتمع وليس إرادة السلطة، بمعنى وجوب التأكيد الكامل لحق الفرد في حماية مصالحه

وحقوقه"[19]،كما دافعت فلسفة لوك عن الحقوق الفردية للإنسان وجعلت منها حقوقا لا يمكن للدولة أن تتخطاها، بل تعتبر وظيفتها الأولى الدفاع عن هذه الأخيرة "فتحرير الأفراد من مختلف القيود الاقتصادية والسياسية والدينية والأخلاقية التي عانت منها البشرية طيلة الفترة الوسيطية بسبب النظام الإقطاعي والسيطرة الكنيسة يعتبر المبرر الوحيد لإنشاء الدولة"[20] وقد تطلب تحقيق المواطنة وتعزيزها في فلسفة جون لوك مجموعة من الوسائل والآليات الضرورية، ولعل أهمها :

1.3الحرية والملكية:أسس لوك فكره السياسي متأثرا بأحداث الثورة المجيدة(****) .إذ عمل على بلورة نظام حكم سياسي يقوم على أسس تحفظ كرامة المواطن، بعدما كان الملك هو صاحب السيادة والملكية المطلقة "وساد اعتبار الدولة هي أنا l'état ، c'est moi عبارة أكدها الملك لويس الرابع."[21] هذه الاعتبارات انتهت بصياغة فكرة العقد الاجتماعي كفضاء للممارسة السياسية الحرة،والتعبير عن الإرادة الفردية في المجتمع.

انطلق لوك من مسلمة مفادها أنّ الفرد هو الحقيقة الأولى السابقة على وجود الدولة، وكل فرد يتمتع بحقوق طبيعية لصِيقة بطبيعته الإنسانية،ولكل فرد حقوق طبيعية غير مكتسبة من المجتمع يتمتع بها منذ عهد الفطرة الأولى باعتبارها امتيازات طبيعية مرتبطة بفرديته، وقد توصل العقل إلى معرفتها ويقوم باستنباط التشريعات الكفيلة بصيانتها وفق قواعد القانون الطبيعي. إن امتلاك الأفراد لحقوق طبيعية ملازمة لطبيعتهم الإنسانية. جعلت فلسفة لوك تعتمد على الحقوق الطبيعية للأفراد كمفهوم أساسي لها، من أجل مواجهة وبلوغ وضعاً طبيعيًا في الحياة الإنساني وهي الحياة السياسية للأفراد ، فجاءت فلسفته كمحاولة للجمع بين ضرورة للمحافظة على حريات الأفراد، وتنظيم شؤونهم السياسية. فبدأ من حيث انتهى توماس هوبز(*****) Thomas Hobbes في تأسيس مجتمع سياسي على العقد الاجتماعي الذي أُبْرِم بين الأفراد لينتقلوا

من الحياة البدائية إلى حياة الجماعة، غير أنّه اختلف معه في وصف الحياة الفطرية والنتائج التي توصل إليها.

إنّ حالة الطبيعة عند لوك هي حالة سلام ومساعدة متبادلة وحرية ومساواة حظي الفرد فيها بالخير والسعادة. فكانت نظرة لوك للإنسان باعتباره الفرد صاحب الحق الطبيعي في الحياة والملكية الفردية. عبر لوك من خلال أفكاره عن الحرية في الملكية معتبرا إياها جوّهر العقد الاجتماعي السياسي. هذا ما يظهر جليًا في قوله: ‹‹يستحيل قيام مجتمع سياسي أو استمراره ما لم يستند إليه وحده سلطة المحافظة على الملكية وعلى معاقبة كل من يسطو عليها››[22]. الغرض الأول من إتحاد النّاس في دولة سياسية والرضوخ لسلطة حكومتها هو الحفاظ على أملاكهم،وجعل منها الغرض الرئيسي لدخول الأفراد في العقد الاجتماعي" إن الغاية النهائية لأي فرد من دخوله في المجتمع المدني هي التمتع بملكيته في سلام وأمان" [23] يظهر لوك هنا عكس هوبز الذي يرى أنّ الملكية الخاصة موجودة في حالة الطبيعة سابقة على المجتمع المدني.

احتلت أراء لوك حول الملكية مكانة كبيرة في بناء نسقه السياسي، إذ تعتبر الملكية حق طبيعي تقوم على العمل لا على القانون الوضعي. يظهر لوك هنا داعما لفكرة الحقوق الطبيعية وإضفاء الاستقلالية عليها، فهي حالة من الحقوق الكاملة يقول: ‹‹ إنّ الله الذي خلع الأرض على البشر شركة بينهم قد وهبهم، إلى ذلك نور العقل كي ينتفعوا بها على خير وجه، كما تقتضي الحياة وتدعو الحاجة. فالأرض وكل ما عليها إنّما أعطيت للبشر من أجل بقائهم ورفاهيتهم... وهي ملك مشترك بين البشر، إلا أنّ لكل امرئ حق امتلاك شخصه››.[24] ويضيف قائلاً: "قد حددت الطبيعة مقدار الملكية تحديدًا عادلاً إذ جعلته منوطاً بمدى عمل الإنسان ومطالب حياته. ولما استحال أن يسخر المرء أو يمتلك كل شيء بجهده الخاص...استحال أن يعدو رجل على حقوق أقرانه."[25]

لقد التفت لوك إلى أنّ الملكية حق طبيعي لا يمكن أن يحول دون نزاع النّاس على مالهم وما لغيرهم، وهنا تنبثق حالة من التنظيم السياسي عنده لإخراج النّاس من فرديتهم، وليُظهر أهمية انضمامهم إلى الدولة عبر العقد الاجتماعي. هذا ما جعل من التيار الليبرالي يحيط بفلسفته السياسية بقدر كبير من الاهتمام "لأنّ استقلال الفرد يتطلب ملكية خاصة محمية تحت سيادة القانون، إذْ اقترنت فكرة المجتمع المدني بالانتشار الواسع للملكية الفردية الرؤية التي جسدت الإسهام الأكبر لليبرالية من طرف لوك".[26]

من الملاحظ أنّ موقف لوك من الملكية فيه العديد من التناقضات، فقط انطلق من ملكية جماعية للأرض وما عليه،مشكلةً حق مشترك بين جميع الأفراد. لينتقل إلى القول بالملكية الفردية التي تنشأ من خلال العمل، فينتقل الفرد من الخاص إلى العام أو بمعنى آخر من الحالة الطبيعية إلى الحالة الاجتماعية أو المدنية من أجل المحافظة على ممتلكاته لتظهر بهذا فكرة المواطنة وينتقل معها الإنسان من الفرد إلى المواطن والسبب في هذا الانتقال هو الصراع حول الممتلكات التي تمنحها الحالة الأولى للأفراد "هذا ما أدى بالإنسان إلى التخلي عن الخصائص التي امتلكها في الحالة الطبيعية فبدأ في البحث عن الحالة المدنية ."[27]

الحالة الطبيعة في هذه النظريات هي حالة الحقوق الكاملة والحريات المطلقة. كما أنّ كل نظام يأتي بعد الحالة الأولى يشكل قيودًا على الحقوق الأصلية، إنّ تأسيس المجتمع والسلطة السياسية لا يُلغي حالة الطبيعة الأولى فهي تَظل كامنة في كل نظام يأتي بعدها إذ أصبح أساس مفهوم المواطنة مبني على فكرة وجود حقوق أساسية للفرد كإنسان أولاً ثم كمواطن ثانيًا.

إضافة للملكية تنطلق فلسفة لوك أيضًا من مسلمة أولية مفادها أنّ الحرية هي معطى قبلي وجدت مع وجود الإنسان وتطورها كان شرطًا واقعيًا ومنطقيًا لنشوء الحقوق المدنية، فالحرية والملكية في أولى مراحل تطورهما اعْتُبرتا من

حقوق الإنسان (الفرد) الفطرية. وإن كانت قد تطورت فيما بعد وأصبحت ذات صلة بمؤسسات الدولة. فترك الفرد يحقق مصلحته الشخصية كفيل بتحقيق المصلحة العامة للمجتمع. "كانت الحرية الطبيعية للفرد عند لوك تعني عدم خضوعه لأية قوة على وجه الأرض أو الوقوع تحت سيطرة السلطة القانونية أو السماح لأي مخلوق بفرض إرادته عليه، إلا قانون الطبيعة وما يمليه من أحكام، وحرية الفرد في المجتمع تعني عدم خضوعه لغير السلطة القانونية."[28] في حين جعل هوبز مسألة الدخول في العقد بالنسبة للفرد مسألة اضطرارية لأنّه ربط بين الحرية والعيش في خطر "لقد جمع بين الحرية والخوف في شيء واحد، إنّ الحرية عنده تعني أن يكون الفرد قادراً على فعل ما يريد دون أن يمنعه أحد، هذا ما جعله يُصور الحرية قبل الحالة المدنية بأنّها فوضى أي حرب الجميع ضد الجميع."[29]

"الحرية يقصد بها في معناها الحقوقي أنّ جميع التصرفات الصادرة عن إرادة الإنسان الحرة لها صفة الحق وبالمقابل فإنّ كل فعل صادر عن إكراه ليس له قيمة حقوقية... قد ولد الإنسان حر بإرادته، وعندما يتصرف بحرية فهو يمارس حقه الطبيعي ويستطيع أن يلتزم بإقراره وأن يعقد العقود" [30]. أما فيما يخص الحرية عنده كانت مسؤولية تجاه الذات وتجاه الآخرين. كما وضع لوك الأسس الفلسفية لعلاقة الدولة بالفرد، وربط بين سيادة الدولة وسلطتها وبين قدرتها على الحفاظ على الأمن المدني للأفراد.

ربط لوك بين مقتضيات التعاقد السياسي وتنازل الأفراد عن حقهم الطبيعي وقدرة الدولة في المحافظة على الحقوق الطبيعية للأفراد خصوصًا الحق في الملكية والحرية. لذا كانت القاعدة التي يسعى بموجبها إلى تأصيل السلطة السياسية والحكم المدني مستمدة من الحقوق البشرية الطبيعية. يجدر بالذكر هنا أنّ حالة الحرية لدى لوك هي غير إباحية. "الإنسان في هذا الطور يتمتع بحرية التصرف بشخصه وممتلكاته... لابحرية القضاء على حياته،

بل حتّى على حياة المخلوقات التي يملكها... يَعلم البشر أنّهم متساوون وأحرار فينبغي أن لا يلحق أحد منهم ضررًا بحياة صاحبه أو صحته أو حريته أو ممتلكاته"[31].

تعد الحرية الضامن للملكية كما استعملها لوك للوصول إلى الإقرار بحقيقة الملكية الخاصة كأساس لوجود المجتمع المدني أو الحكومة المدنية أو بعبارة أخرى فإنّ حق الملكية والحرية وضعهما لوك بغرض تبرير الانتقال إلى المجتمع السياسي والطور المدني. الحقوق الطبيعية هي حقيقة تاريخية موضوعية تعبر عن وضعية الأفراد قبل التعاقد الاجتماعي، ويجب التسليم بهذه الحقيقة عند الانتقال إلى الحالة المدنية. حيث لم يمنح المجتمع للفرد الحقوق الطبيعية وإنّما موجودة قبله، وليس من شأن أي دولة أن تمنحهم هذا الحق أو تحرمهم إياه. "فهم ملاك أحرار تجمعوا وأنشئوا مؤسسات وهدفهم حماية حريتهم وملكيتهم وقد يكون منافيًا للطبيعة إذن في أي حال من الأحوال أن تنال هذه المؤسسات من حرية الأفراد وملكيتهم لأنّها بذلك تناقض الغاية التي أنشأت من أجلها.[32] كذلك قدم لوك تمييزاً بين الحرية الطبيعية والحرية المدنية "فالتحرر من السلطة العليا أو أي إرادة والخضوع فقط لقانون الطبيعة أو ما يصطلح عليه بالحرية الطبيعية، أما بالنسبة لحرية الفرد داخل المجتمع السياسي تعني عدم خضوعه لأي سلطة تشريعية سوى تلك التي تم وضعها عن طريق العقد."[33]

المواطن في نظر لوك هو إنسان حر، مع مراعاة احترامه لقواعد النظام المدني وتحقيق مصالحه الخاصة دون الضرر بمصالح غيره كونه مواطنًا وعضوًا في مجتمع اختار أن يكون فيه بإرادته. لهذا نجد نظرية لوك في الحرية والملكية مؤسسة على السيكولوجية الفردية غير أنّه يجب على المواطنين التصرف وفقًا للقوانين المناسبة مع ما يقره العقل في حالة الطبيعة وما تقره الحكومة في الحالة المدنية. نرى أنّ جون لوك يضع حقوق الإنسان وحرياته في المركز الأول، ولن تكون الحياة بالنسبة للفرد ذات قيمة إلا إذا عبر فيها عن

قيمه وثقافته على المستوى الفردي مع إغفاله للمستوى الجماعي، كما جعل من المنفعة الشخصية بعيدة تماما عن المنعة المشتركة.

إنّ الحرية تعني المساواة بين البشر في خضوعهم والتزامهم بالقانون مما يدفعنا لتصور هدفه في خلق مساواة بين المواطنين والحكام أمام القانون، وبالتالي لا سلطة لفرد على بقية الأفراد،مما يعني أنّ مصدر السلطة هو إرادة مواطنيها،و بالتالي تكون المواطنة بهذا ثمرة من ثمرات الديمقراطية.غير أنّ لوك كان على وعي بأنّ السلطة قد تسئ استخدام صلاحياتها. وهي واحدة من بين أهم المشاكل التي تعترض حماية حرية المواطنين وتهدد حقوقهم بدلا من العمل على حمايتها.فكيف عالج هذه المشكلة على الصعيد السياسي وفي حدود صلاحيات المواطن؟

3ـ 2 حق الثورة: يعود استخدام كلمة ثورة Revolution في الثقافة الغربية إلى نيكولاس كوبر نيكوسNicolas Copernicus (1473- 1543) الذي استخدمه في عنوان كتابه المشهور "ثورة الأجرام الفلكية"، ومقابل هذا المفهوم بالفرنسية des orbes célestes Des révolution وقد بين نيكولاس أنّ الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس. وكانت هذه النظرية أكبر ثورة في تاريخ العلم والفلك في مختلف العصور، وورد في معنى الثورة أنّها تغيير جذري في أوضاع المجتمع، هدفها تغيير النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وبالتالي كل حركة تؤدي إلى تغيير جذري في المجتمع دون عنف أو قهر فهي بمعنى ما ثورة. يقول جميل صليبا: "الفرق بين الثورة وقلب نظام الحكم، الثورة يقوم بها الشعب في حين قلب نظام الحكم يقوم به بعض رجال الدولة، كما أنّ الهدف من الثورة تغيير النظام بينما هدف الانقلاب مجرد إعادة توزيع السلطة السياسية بين هيئات الحكم المختلفة".[34]

يعد لوك من الفلاسفة القلائل الذين نادوا بسلطة الشعب وقدرته على التغيير. حيث يقتصر دور الدولة على حماية حريات الأفراد وحقوقهم التي كانوا

عليها في حالة الطبيعة يقول: ‹‹أنّ الحكومة بما فيها الملك والبرلمان مسئولة أمام الشعب، وأنّ سلطان الحكومة مقيد بالتزام قواعد الخلق والتقاليد الدستورية ويرى أنّ الحكومة ضرورة لابّد منها.››.[35]

لقد خصص لوك المقالة الأولى من مؤلفه الذي صدر سنة 1600 (مقالتان في الحكومة المدنية) للرد على ما جاء في كتاب روبرت فليمر(******) Robert Filmer (الأبوة) من آراء حول حق الملوك المقدس. إذ يرى هذا الأخير أنّ حق الملك المقدس ويعطيه الحق المطلق في حكم رعاياه حكمًا استبداديًا من دون أن يكون لهم أدنى حق في معارضته أو الثورة عليه، مقرًا نظامًا سياسيًا قائمًا على العبودية، إذ يهاجم لوك J. Locke هذه الفكرة التي أتى بها فيلمر وأتى "بنظرية مخالفة تعطى الحق في الإطاحة بالملك إذ ما انحرف عن تحقيق الغاية التي تعاقد من أجلها النّاس"[36]. فانتقال الأفراد إلى الحالة المدنية يصبحون طرفًا فاعلاً في وضع القوانين والأسس التي يقوم عليها المجتمع، الأمر الذي خَول للوك إعطاء المواطنين حق المقاومة للتخلص من الحكم المطلق. كما لهم الحق في استعمال القوة ضد السلطة إذا تصرفت بشكل يتنافى ورسالتها.

إنّ البشر يخرجون من حالة الطبيعة متَخلين بذلك عن استقلالهم الطبيعي. وعن مشاعية الخيرات الطبيعية للظفر بقوانين تحفظ ممتلكاتهم ولا تنتهكها. وليعيشوا تحت سلطات القوانين السياسية. إذن المواطنة في نظر لوك هي الحفاظ على حقوق الفرد من حيث طبيعته الإنسانية، ويجب على السلطة أن تدرك هذا الأمر وإلا أصبح من الضروري على المواطن أن يظهر اعتراضه من خلال مرور الأفراد إلى الحالة المدنية الأمر الذي يحتم عليه طاعة السلطة في مقابل التزام هذه السلطة بحماية حقوقهم لا التفريط بها. "فهي وضع من المساواة حيث تتكافأ السلطة والسيادة كل التكافؤ فلا يكون حظ أحد منها أكثر من حظ الآخر".[37]

إنّ حرص لوك الشديد على إقرار وحماية حرية المواطنين وضمان حقوقهم في الملكية الخاصة، قد أدى به إلى تحذير الحكومات من التقصير في أداء واجباتها، حيث ورد في الفصل التاسع عشر من المقالة الثانية وضع لوك حق المقاومة والذي يكتسي أهمية كبيرة في أرائه السياسية. "إنّ غاية الحكم هي خير البشرية وأيّهما أفضل للبشرية: أن يكون الشعب معرضًا لإرادة طاغية لا حدود لها، أم أن يكون الحكام أحيانًا معرضين لمواجهة مقاومة عندما يقومون باستعمال سلطتهم استعمالًا فاحشًا ومفرطاً، ويستخدمونها من أجل تحطيم ملكيات الشعب أي ما يعود له بشكل خاص، بدل صيانتها؟".[38] فلا يمكن إباحة حقوق الإنسان في الحالة المدنية التي تعززت بسلطة تشريعية وتنفيذية، مما أجبر سلطة الحاكم على الانتقال من الإطلاقية التي كانت عليها لدى هوبز إلى التقييد. "لذا وجب على كل من يتولى السلطة التشريعية العليا في أي دولة أن يحكم على أساس قوانين ثابتة موضوعة ومعروفة لدى الشعب، لا على أساس أحكام مرتجلة نزيهين لهم صلاحية الفصل في الخصومات بناء على هذه القوانين في الداخل".[39]

على هذا الأساس اعتبر جون لوك أن تضيق مجال التسلط وتوسيع مجال حرية الأفراد من خلال حق الثورة بوضع السلطة العليا في يد الشعب وسلطات الحكومة تشريعية كانت أو تنفيذية مصدرها المواطنين. فهي سلطات انتمائية تعمل لأعراض معينة، للمواطنين الحق في تنحيتها متى خرجت عن القانون المبتغى تنفيذه. "فهو لم يرَ الحرية حقًا طبيعيًا فحسب، بل الثورة، حفاظًا عليه ولكي لا يتجاوز بشأنه، واجب فرضه الله على البشر.

ولا شك أنّ قوة الأكثرية ستكشف عن نفسها في التهديد بالثورة قبل الفعل لها. وذلك هو أكثر ما يمنع المسئولين من أن يتورطوا في الأنشطة الفاسدة وعليه سيكون الخوف من الثورة دافعًا للمسئولين لكي لا يتجاوزوا على حقوق الآخرين،ويترتب على ذلك،أنّه يجب أن يحافظ هؤلاء على الاستقامة في تعاملهم

مع النّاس ومع أنفسهم"[40] فالحكومة المدنية تمثيل لإرادة الشعب وواجبها هو حماية حقوقه الطبيعية، فإذا ما اعتدت عليها وجب إعلان الاحتجاج من طرف مواطنيها.

ركز لوك على فكرة تمتع أغلبية المواطنين بالمشاركة في السلطة، حيث خول لهم الحق في الثورة على الحكام للمحافظة على الحرية. وضمان عدم المساس بها أو سلبهم إياها. فالحكومة السياسية تأسست لأجل استقلالية الفرد هذا ما جعل لوك يبقى على الضمانات التي تحفظ كل ما هو طبيعي للفرد، إذن حق الثورة هو حق مشروع سياسيًا تكفله السلطات لصالح الخير العام للمجتمع. إنّ تقنين سلطة الحكومة والحد منها كان بمثابة شرط أساسي لوجود ودوام المجتمع السياسي.

يسعى لوك من خلال حق الثورة إلى تحقيق هدفين أساسيين:

الأول: هو تعريف المواطن بحقوقه الأساسية بحيث يكون ذلك أداة للتوعية وحافزًا للتمسك بمواطنته والسعي لممارستها.

الثاني: هو التأكيد على التزام الحكومة بحقوق المواطنة والسعي إلى تفعيلها في صورة سياسات عامة تهدف إلى الحفاظ على حقوق الأفراد الطبيعية وترجمتها إلى واقع ملموس.

بهذا الفهم للمواطنة يكون لوك قد أتاح قدرا متساويا من الفرص للجميع مما عمل على تقليل الفجوة الاجتماعي بين الطبقات وخلق نوعا من الفردية الخاصة للإنسان من خلال تقييد تدخل السلطة وعدم تجاوزها للمجال الخاص للمواطن، غير أنّ تقييد السلطة قد يدفع إلى بروز التعارض بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع سرعان ما يتحول إلى نزاعات كامنة تتفجر وتهدم قوام الوطن ذاته.

3ـ 3 ضرورة التسامح: في منتصف ثمانينات القرن السابع عشر كتب لوك آخر أعماله حول النظرية السياسية بعنوان رسالة التسامح. عالج من خلاله أفق

الحوار والعيش المشترك في ظل الاختلاف والتنوع الذي يحدث داخل الوطن الواحد. وممارسة الأفراد مواطنتهم بحرية تامة من خلال كفالة الدولة لهم حق حرية العقيدة وحرية ممارستها. كما اهتم جون لوك بظاهرة الصراع الديني والعنف المترتب عن ذلك الصراع. معتبرا بذلك الكنيسة هيئة خاصة. أعطى لها صلاحية العمل على مذاهبها وتعاليمها دون تدخل الدولة، ما دامت غير ضارة بحقوق الأفراد من جهة والصالح العام من جهة أخرى.

أنّ خلاص النفوس ليس من شأن الحكومة، مستبعداً(أي لوك) بذلك فكرة إكراه الدولة مواطنيها ليتبنوا مذهب واحد في الدين والأخلاق، مؤكدًا من خلال مؤلفه على حرية المعتقد وفصل السلطة السياسية عن الدين. يقول لوك: ‹‹ إذا زعم أي إنسان أنّه ينبغي استعمال السيف والنّار لإجبار النّاس على اعتناق عقائد معينة والانتماء إلى عبادات وطقوس معينة بغض النظر عن الجانب الأخلاقي، وإذا حاول أي إنسان أن يحول الآخرين إلى عقيدته وأن يجبرهم على الاعتراف بما لا يؤمنون به بدعوى أنّ عقيدتهم كاذبة... فإذا كانوا يريدون بحق الخير لنفوس النّاس مقتدين في ذلك بأمير السلام... لن يكن كذلك بالسيوف أو بأية أدوات أخرى من أدوات العنف، ولكنّه كان مسلحًا بسلام العهد الجديد والأسوة الحسنة ذلك كان منهجه›› .[41]

أراد لوك من خلال قوله هذا نَبذْ العنف عن الاختلافات العقائدية وانتهاج مسلك التسامح. فالاختلاف ما هو إلا في الرأي والتفكير الديني، إنّ النتيجة التي توصل إليها لوك مفادها كفالة الحرية الدينية للجميع. ليس للكنيسة الحق في اضطهاد أي شخص بسبب عقيدته كما أنّه ليس للدولة هذا الحق أيضًا، "فالكنيسة لا تمثل إلا نوعًا من التنظيم الإرادي للمجتمعات، وخاصة من الناحية الروحية الدينية".[42] من خلال هذا يكون لوك قد نفى عن الدولة أي حق يخص الناحية العقائدية للأفراد، فما هي إلا تجمع تأسس على مصلحة مشتركة وهي الحفاظ على الحقوق الطبيعية بطريقة مدنية، فقوة الدولة تكمن

في التزامها والتزام أفرادها بالقوانين المنظمة، فهذا الالتزام هو مؤشر من مؤشرات المواطنة.

يؤكد لوك على غاية الدولة التي تمثلت في الحفاظ على الخير العام ورعايته "فسلطة المدنية والحقوق والسيادة ينبغي أن تكون محكومة بهدف واحد هو رعاية هذه الشؤون المدنية وتنمينها... أمّا فيما يتعلق بخلاص النفوس ومصير الإنسان، فالأمر بيد الإنسان نفسه لأنّ خلاص النفوس ليس من شأن الحاكم المدني (الدولة)، أو أي إنسان آخر ذلك أنّ الحاكم ليس مفوضا من الله لخلاص نفوس البشر، وانّ الله لم يكلف أي إنسان بذلك ثم أنّه من غير المعقول أن يمنح الشعب مثل هذه السلطة للحاكم، لأنّه لا يقبل أي إنسان سواء كان أميرا أو من الأفراد أن يترك خلاصه لإنسان آخر".[43] "كما أنّ الاعتقاد هو موضع الاقتناع العقلي والاطمئنان النفسي"[44]

فصل لوك بين الدولة والكنيسة، فالهدف من وجود الدولة هو الحياة الدنيوية، أمّا الكنيسة هدفها الحياة السماوية، والأمور العقائدية تعتبر أمورًا إرادية وجب على الدولة أن تجيز جميع أنواع العبادات فمن أجل هذا كله ينبغي التمييز بدقة ووضوح بين مهام الحكم المدني والدين، وتأسيس الحدود الفاصلة والعادلة بينهما، من هذا المنطلق يعطي لوك الأفراد الحرية في الممارسة الدينية. فليس لأحد ممارسة سلطة القانون لجعلهم مضطرين للتخلي عن أحد حقوقهم وذلك بإظهار دينهم وإقامة شعائره بما أنّه لا يتعارض مع النظام العام، فحتّى الكنيسة ليس لها أنّ ترغمهم على اعتناق أرائها. والكنيسة ما هي إلا "جماعة حرة. من البشر. الذين يجتمعون بمحض إرادتهم بهدف عبادة الله وبأسلوب يتصورون أنّه مقبول من الله. وكفيل بخلاص نفوسهم ".[45]

لقد حملت هذه الآراء الصبغة الإنسانية التي ظهرت من خلال كتابات لوك، معلنًا بذلك أنّ والطبيعة البشرية للإنسان، هي من تحديد مكانه في المجتمع. إذ تعتبر السلطة في جوهرها هي سلطة الحرية. وعلى هذا الأساس كل سلطة لكي

تكون سياسية يجب أن تكون عادلة في نظر لوك، فلا يجب أن تتجاوز السلطة السياسية الحقوق الطبيعية وخاصة حق الملكية، وحق الحرية، وحق المقاومة هذه الحقوق يكون هدفها الدفاع عن النظام وإعادة صياغته بما يتماشى وحياة الأفراد.

لقد عالج لوك العديد من المسائل البالغة الأهمية مثل رفضه للحق الإلهي للملوك ونظرية فصل السلطات والعمل على وضع القواعد الأساسية للديمقراطية. وكان هذا انطلاقا من واقع وظروف المجتمع الإنجليزي في القرن 17 الذي شهد صراعاً حاداً بين أطيافه (البروتستانت والكاثوليك). غير أنّ أفكاره لم يتوقف في هذه المرحلة فقط وإنّما كانت لها أبعاد سياسية عامة، من خلال نظرية العقد الاجتماعي التي أصبحت نموذجا تقتدي به الفلسفة السياسية من خلال تأسيس الممارسة السياسية. وتأكيده على الحرية الفكرية والعقائدية بصفتها حقًا طبيعيًا غير قابل للانتزاع بالإضافة إلى الحق في الملكية الفردية وأولوية الحريات والحقوق الإنسانية الأصلية في مقابل الحقوق والحريات السياسية.

رابعا: دور المجتمع في تجسيد قيم المواطنة :

يعتبر الفرد مشاركا في صنع المجتمع من خلال العقد الاجتماعي، الذي انتقل بموجبه الأفراد من الحياة الطبيعية إلى الحياة المدنية .نتج عن هذا العقد طرفين سلطة حاكمة، وأفراد خاضعين لهذه السلطة غير أن" النتيجة المترتبة لدى لوك عن هذا المركب هو التزامات متبادلة بين كل من هذين الطرفين ،أفراد يلتزمون بالخضوع للسلطة السياسية والولاء لها،بينما تلتزم السلطة تنظيم حياة الجماعة ،وإقامة العدل، وعدم المساس بحقوق الأفراد التي لن يتنازلوا عنها".[46] فالفرد في نظر لوك لا يمكنه عيش حياة العزلة مشترطا بذالك "تنازل كل فرد عن حقه الطبيعي للمجتمع السياسي تنازلا تما، وتصبح الجماعة الحكم الوحيد الذي يفصل في كل الخصومات التي قد تنشأ

بين أفراد ذلك المجتمع في القضايا الحقوقية،بناءا على قواعد عادلة يطبقها رجال خولتهم الجماعة تطبيقها".[47] هنا يظهر دور المجتمع في تجسيد قيم المواطنة عن طريق تنفيذ القوانين، والمساهمة بطريقة إيجابية لتوجيه الأفراد ليكونوا أكثر فعالية في الحياة السياسية، هذا يعود إلى تطبيق مبدأ العدالة وفرض الموضوعية والاعتداد في مختلف الحقوق التي يحصل عليها الفرد سواء في الحالة الطبيعية أو بانضمامه للمجتمع بواسطة العقد . إن المجتمع في الحالة المدنية يدفع بالفرد للمساهمة في حكم دولته وممارسة حقوقه السياسية وأداء واجباته اتجاه المجتمع والدولة .

عمل لوك على فرض المساواة أمام القانون وهذا ما أُعتبر كأساس في تحديد الحقوق والواجبات، لأنّ المجتمع الإنجليزي فد تضمن قواعد ضرورية لممارسة الفرد مواطنته التي استمدت دعائمها من العقد الأساس الوحيد للعدالة المدنية. بذلك يصبح المجتمع حافظا لجميع الحقوق المكتسبة من الحالة الطبيعية. جعل لوك من المواطنة صفة عامة تمتع بها الجميع داخل المجتمع عن طريق الحقوق المتساوية في الحالة المدنية، كل فرد يملك إمكانية المشاركة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعدما كانت مخصصة لفئات معينة طيلة فترة العصور الوسطى .

دفع هذا الرأي بلوك التوصل إلى فكرة معينة للمواطنة تحمل دلالة إنسانية وأخلاقية تنطوي تحتها مفردات حقوق الإنسان." إن الفرد في حالة حرية، وقانون الطبيعة هو قانون الحرية والمساواة، وحال الطبيعة أسبق على حال المجتمع، والعلاقة بين الناس في الأصل علاقة كائن حر بكائن حر، ولكي يحمي الإنسان نفسه من الاعتداء دخل في عقد اجتماعي تعهد به للحفظ على حرية الآخرين ، فهو عقد بين أحرار أساسه المساواة والكل ملزم بتطبيق ذالك".[48] إذا فالمجتمع والإرادة العامة هي من تجسد مفهوم المواطنة في نظر لوك وليس السلطة، بواسطة التأكيد على حقوق الأفراد وحمايتها، لأنّ الحقوق الطبيعية

للإنسان هي من تأسس للعلاقة الكامنة بين الفرد والدولة. وبالتالي تعتبر المساواة في الحقوق الطبيعية أصلا عاما تفرعت منه مساواة في المنافع الاجتماعية مما يؤدي إلى التمتع بالحقوق وعدم التفاوت فيها .

تعد المساواة المطلب الرئيسي لفلسفة لوك السياسية ،من خلالها يظهر المعنى الحقيقي لأن يكون الفرد مواطنا حاصلا على حقوقه في المجتمع ومؤديا لواجباته . فالبشر ولدوا بالطبيعة متساويين وعلى المجتمع أن يعمل على تحقيق هذا، باعتبار الحقوق التي استحقها الناس واحدة وجب أن يخضعوا لقانون واحد، هذا ما جعل المساواة ركيزة أساسية لمفهوم المواطنة.

خامسا: النقد :

يمكن القول أن الفكر السياسي قد خطى خطوة هامة من خلال أراء لوك في الساحة السياسية الأوربية .بحيث أصبح الحديث عن المواطنة ممكنا بعدما ما اختفى خلال العصور الوسطى وسط الأفكار اللاهوتية والدينية. كما اعتبرت آراءه كمرجعية أساسية للثورة الأمريكية والفرنسية التي ظهرت أواخر القرن الثامن عشر، معتبرة الفرد المقياس الوحيد للقيم الأخلاقية والدينية .

يعتبر لوك مناصرا للديمقراطية،وسلطة الشعب. رافضا للديكتاتورية. الأمر الذي أصبغ أفكاره بروح نقدية داعية للتغيير، هذه الروح التي انعكست على مفهوم المواطنة وبالتالي على المجتمع الإنجليزي فكريا وواقعيا. مما أدى إلى بعث مشروع حضاري للمجتمع مختلفا تماما عما جسدته الطبقة الإقطاعية، وظهور دور المواطن في الدولة بعدما كان مفهوم المواطنة مفهوما سلبيا وخاصا بفئة دون غيرها .

رغم كل ما دعا إليه لوك من مساواة وحرية للإنسان، يؤخذ على مواطنته أنّها رسخت للفردية من خلال مجموعة الحقوق الخاصة كالملكية ...في مقابل إهماله للجماعة، مما أدى إلى اتصاف الروابط بين الدولة والمواطن بالطبيعة الفردية . أصبح المواطن بذالك صاحب السيادة وليس خاضعا لها من خلال

الحرية التي أصبحت قيدا للحكام، بمعنى أنّه أعطى الأولوية للحق على القانون "فالحقوق الطبيعية تسبق القانون، وهي موجودة مع طبيعة الإنسان نفسها ،فلا يمكن للقانون بذلك أن ينشىء حقوقا".[49] بهذا يكون لوك قد ألغى دور الدولة وأسنده للفرد ليصبح هو من لديه صلاحية قبول القوانين أو رفضها هذا ما أدى بروسو(*******)J.J.Rousseau إلى القول بعكس هذا "كل شخص منا يشارك بشخصه وبكل قدرته ويضعها تحت الإدارة العليا للإرادة العامة ونتلقى بالجملة كل عضو كجزء لا يتجزأ من الكل".[50]

كما انتقد هيجل(********) F. Hegel أطروحة الحق الطبيعي الذي اعتمدها لوك في تحديد الجوانب السوسيو معرفية التي تأطر مسألة العقد الاجتماعي والذي يعتبر الإطار الأساسي الذي يحدد مجال مواطنة الأفراد .واعتبر أن تجاهل الطابع الأخلاقي الاجتماعي الذي يجب أن يصاحب علاقة أفراد المجتمع بالسلطة أفرغ دلالة فكرة المواطنة من معانيها القيمة .وهو ما سيزيد في نظره من احتمالية تمسك أفراد المجتمع الغربي بطبيعتهم الحيوانية . كما اعبر الدولة يجب أن تنشأ للحد من الحقوق الطبيعية بفرض طابع أخلاقي يوجه الأفراد نحو غاية الاجتماع الإنساني وهو إحلال العقلانية بدل الأنانية واحترام الأخر والكفاءة في خدمة الصالح العام .[51]

لقد ربط لوك مفهوم المواطنة وتجسيده بالحقوق الطبيعية للفرد كالحق في الملكية والحرية ،غير أن السؤال المطروح هنا كيف يمكن لقيم المواطنة كالمساواة والعدالة... أن تتحقق في ظل ربطها بالفرد متغاضيا عن الميولات البشرية التي تتميز بالأنانية ؟ ألا يعتبر هذا بمثابة استحالة لتطبيق المساواة والعدالة وبالتالي استحالة المواطنة ؟

الخاتمة:

من خلال ما تقدم يتبين أن المواطنة ليست وضعية جاهزة يمكن تجليها بصورة آلية عندما تتحقق الرغبة في ذالك،وإنما هي عملية دينامكية مستمرة

وسلوك يكتسب عندما تتهيأ له الظروف المناسبة ،وممارسة في ظل مجموعة من المبادئ والآليات التي تعمل على ترجمة مفهوم المواطنة واقعيا ،لذالك أراد لوك بناء مواطنة حقيقة مستمدة من حرية الفرد ودوره وفاعليته في بناء تجربة سياسية واعدة من خلال إقرار مشاركته السياسية وضمان حصوله على حقوقه كالحرية والملكي، وعدم استغلاله بشكل سلبي .

إنّ ارتباط المواطنة بفلسفة الحقوق كالحرية والملكية والمقاومة جعل من فلسفة لوك السياسية عنوانا بارزا يريد النهوض بالفرد ، وتشيد دولة العدالة . من خلال الحرية والملكية أعلى لوك من قيمة الفرد في مواجهة الدولة والمجتمع وعمل على رعاية مصالحه عن حقه واستقلاليته ،ذلك انطلاقا من ضرورة التأسيس لمصلحة الفرد وعدم تدخل الدولة في حياة الأفراد الخاصة واختياراتهم .

كما جعل لوك الفرد يساهم في حكم دولته عبر النشاط السياسي والاجتماعي ،والتي تعتبر ضرورة التسامح والمقاومة من أهم صور المشاركة بشقيها السياسي والاجتماعي، هذا للتعبير عن الفرق بين المواطن وغير المواطن .

من هنا يمكننا القول أن تلك النقاط الثلاث التي لازمت فكرة المواطنة في فلسفة لوك السياسية قد شكلت المفهوم الحالي للمواطنة البيرالية وأصبحت معه كلمة مواطن تعني حيازة الحقوق وأداء الالتزامات والتساوي مع سائر المواطنين.

الهوامش :

*جون لوك John Locke (1632.1704): فيلسوف إنجليزي شهير، يعد أحد فلاسفة العقد الاجتماعي، ينظر له على أنّه الأب الروحي للفكر اللبيرالي الفردي. أهم مؤلفاته السياسية مقالات في الحكومة المدنية.

1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1997، ص.

2 الكيلاني حسن، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1،2014، ص 18.

3 وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر،د.ط، 2007، ص 454.

4 صليبا جميل، *المعجم الفلسفي*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982، الجزء2، ص 138.139.

5 المرجع نفسه، ص 139.

6 المرجع نفسه، ص 140.

7 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1997، ص 460.

** الدولة المدينة State City: هي نظام الحكم الذي كان شائعا في العصور القديمة خاصة عند اليونان، حيث تتكون الدولة من مدينة واحدة تحكم نفسها مثل أثينا وسبرطة وروما.

8 دولا فيكتورا كوينتين، مفاهيم المواطنة والفضاء العمومي عند حنة أرنت وهابرماس،تر: نور الدين علوش، مجلة إضافات، العدد22، ربيع 2012، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 51.

9 Turner (bar yans) & Hamilton (P) editors, "citizenship: criticol concepts" vol. I, Routledge, London and New York 1994 .P212

10 صليبا جميل، *المعجم الفلسفي*، الجزء2، ص439 .

11 مهران حمدي، المواطنة والمواطن في الفكر السياسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1 2012، ص 68.

12 الموسوعة العربية العالمية،مؤسسة إعمال للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط،1996،ص311.

13 الكيلاني عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج6، ط5، 1995،ص 37.

14 ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر:عادل الهواري، وسعد مصلوح، مكتبة الفلاح،الكويت، الطبعة1994،1، ص110.

15 محمد عاطف غيث،قاموس علم الاجتماع،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،1995، ص56.

16 علي خليفة الكواري،المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان، د.ط 2001 ص30.

17 علي خليفة الكواري، المرجع السابق، ص36.

*** العقد الاجتماعي Social Contract: هم مصطلح يعبر عن اتفاق عدد من الأفراد على تكوين مجتمع بناء على قاعدة الفائدة المشتركة وتجنب الأضرار، مقابل تسليم الفرد لإرادة الجماعة وترجع جذور هذا المفهوم إلى العهد القديم، وقد تناوله عدد من الفلاسفة سموا بفلاسفة العقد مثل هوبز .لوك .روسو.

18 شريف الدين بن دوبة ،المواطنة مفهومها جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، بيروت لبنان،الطبعة الأولى،2019، ص61.

19 أبو الفتوح بوهريرة، ومصطفى محجوبي (دون ذكر السنة)، فكرة المواطنة بين الممارسة المدنية وترسيخ المبادئ الاجتماعية .قراءة في الإشكاليات والمعوقات https://www.univ-eloued.dz/images/2019/Cen/%E2%80%AB%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9%20%20pdf/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B1%D8%B4%D8%A95/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89%20%D9%85%D8%AD%D8%AC%D9%88%D8%A8%D9%8A.pdf

20 Ranny austin ،governing and introduction to political science، 6th ed، prentice hall ine، new jersey › 1993،p360

****الثورة المجيدة Glorious Revolution: قام بها البرلمان الإنجليزي ضد الملك جيمس الثاني والذي تم عزله وتنصيب ابنته وزوجها ملكين بدلاً منه والذي مهد لإصدار البرلمان لإعلان الحقوق سنة 1679 الذي حد من سلطة الملك ووسع من سلطة البرلمان.

21 ديريك هيتر ،تاريخ موجز للمواطنية ، تر: اصف ناصر،ومكرم خليل ،دار الساقي ،بيروت،لبنان،الطبعة الأولى ، 2007،ص91.

*****توماس هوبزTomas Hobbes (1588. 1679): فيلسوف ورجل سياسة انجليزي له العديد من المؤلفات في السياسة والقانون والتاريخ. أهم أعماله السياسية على الإطلاق هو كتاب التنين Leviathan الذي تكلم فيه عن العقد الاجتماعي والمجتمع المدني.

22 لوك جون. *في الحكم المدني*،تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت،لبنان ،1959، ص188.

23 Locke (john), Two Tratises of Government: The Works of Joh Locke, 12th Edit, Vol IV, J. Rivington & Others, London, 1824. P: 416.

24 لوك جون، *في الحكم المدني* ، ص 152.153.

25 لوك جون،المصدر السابق، ص157.158.

26 Groy John , Liberalism, 2nd (ed), open university press,Buckingham, 1995,p 14.

27 راوية عبد المنعم عباس، جون لوك أمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د .ط، 1996، ص108.

28 لوك جون،الحكومة المدنية.ت:محمود شوقي الكيال،مطابع شركة الإعلانات،مصر،ص 28

29 Hobbes Thomas, Leviathan : THE Collected English Works Of Thomas Hobbes edit : William Moles worth, Vol III, Routtledge & Thoemmes Press, London, 1997, p 197.

30 غرويوتزن برنار. *فلسفة الثورة الفرنسية*، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، باريس،الطبعة الأولى، 1982، ص 140

31 لوك جون، في الحكم المدني ، ص140.

32 غروتويزن برنار، المرجع السابق، ص 103.

33 Locke (john), Ibid ,p351.

34صليبا جميل، *المعجم الفلسفي*:دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان،1982،ج1، ص381 .

35 لوك جون،الحكومة المدنية، ص 6.

******روبرت فيلمر Robert Filmer (حوالي 1588.1635): منظر سياسي إنجليزي، دافع عن الحق الملوكي الإلهي. من أشهر أعماله البطريركية الذي نشر بعد وفاته عام 1680.

36 السوداني عامر أنسام، *فلسفة حقوق الإنسان: (هوبز ،لوك ،مونتسيكو ،روسو* الرافدين، لبنان، بيروت،الطبعة الثانية، 2017، ص111.

37 لوك جون، في الحكم المدني ، ص139.

38 جاك شوفالييه جان، *تاريخ الفكر السياسي :(من مدينة الدولة إلى الدولة القومية*، تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط5، 2006، ج 2، ص 386.385.

39 لوك جون، في الحكم المدني، ص 215.

40عبود المحمداوي علي، *الفلسفة السياسية*، دار الأمان،الرباط،المغرب،ط1، 2015، ص 146.145.

41 لوك جون، *رسالة في التسامح*، تر: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى ،1997، ص20.

42 السوداني عامر أنسام، المرجع السابق، ص 116.

43 لوك جون، رسالة في التسامح، ص23.24.

44 Ricoeur , paul..*La critique et la conviction*. clamannt -Lévy ,paris, 1995 ,p36

45 لوك جون، رسالة في التسامح، ص 27.

46شريف الدين بن دوبة،المواطنة مفهومها جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية،ص62.

47 لوك جون ،في الحكم المدني ، ص 188.

48غرويوتزن برنار، *فلسفة الثورة الفرنسية*، تر: عيسى عصفور ،ص 170.

49المرجع السابق، ص ص 179،178.

*******جون جاك روسو : (1712. 1778) كاتب وأديب وفيلسوف فرنسي. يعد من أهم كتاب عصر التنوير، من أعماله في التربية: إميل نموذجا.

50أبو الفتوح بوهريرة، ومصطفى محجوبي (دون ذكر السنة)، فكرة المواطنة بين الممارسة المدنية وترسيخ المبادئ الاجتماعية .قراءة في الإشكاليات والمعوقات, موقع سبق ذكره.

********هيجل:جورج فريديريك هيجل(1770. 1831)من أهم فلاسفة الألمان،يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، أهم مؤلفاته ظواهرية الروح.

51أبو الفتوح بوهريرة، ومصطفى محجوبي (دون ذكر السنة)، فكرة المواطنة بين الممارسة المدنية وترسيخ المبادئ الاجتماعية .قراءة في الإشكاليات والمعوقات, موقع سبق ذكره.

قائمة المصادروالمراجع :

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دون ذكر الطبعة، 1997.
2. أبو الفتوح بوهريرة، ومصطفى محجوبي (دون ذكر السنة)، فكرة المواطنة بين الممارسة المدنية وترسيخ المبادئ الاجتماعية .قراءة في الإشكاليات والمعوقات, https://www.univ-eloued.dz/images/2019/Cen/%E2%80%AB%D8%A5%D8%B4%D9%83%

D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9%20%20pdf/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B1%D8%B4%D8%A95/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89%20%D9%85%D8%AD%D8%AC%D9%88%D8%A8%D9%8A.pdf

3. جاك شوفالييه جان، *تاريخ الفكر السياسي: (من مدينة الدولة إلى الدولة القومية*، تر: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 2006، الجزء 2.
4. دولا فيكتورا كوينتين، مفاهيم المواطنة والفضاء العمومي عند حنة أرنت وهابرماس،تر: نور الدين علوش، مجلة إضافات، العدد22، ربيع 2012، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
5. راوية عبد المنعم عباس، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،لبنان، دون ذكر الطبعة، 1996.
6. السوداني عامر أنسام، *فلسفة حقوق الإنسان: (هوبز، لوك، مونتسيكو، روسو)* الرافدين، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية،2017.
7. شريف الدين بن دوبة، المواطنة مفهومها جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة بيروت ،لبنان، الطبعة الأولى، 2019 .
8. صليبا جميل، *المعجم الفلسفي*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دون ذكر الطبعة، 1982، الجزء2، ص 138.139.
9. صليباجميل .(1982). *المعجم الفلسفي*: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دون ذكر الطبعة، 1982، الجزء2.
10. عبود المحمداوي علي، *الفلسفة السياسية*،دار الأمان، الرباط،المغرب، الطبعة الأولى، 2015.
11. علي خليفة الكواري،المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان، دون ذكر الطبعة 2001.
12. غرويوتزن برنار، *فلسفة الثورة الفرنسية*، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت،باريس، الطبعة الأولى، 1982.

13.الكيلاني حسن، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى،2014.
14.الكيلاني عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج6، ط5، 1995..
15.لوك جون، *في الحكم المدني*، تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، لبنان، دون ذكر الطبعة،195
16.لوك جون، *الحكومة المدنية*، تر: محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات، مصر، دون ذكر الطبعة ،دون ذكر التاريخ.
17.لوك جون، *رسالة في التسامح*. تر: منى ابو سنة . المجلس الاعلى للثقافة. الإسكندرية ،مصر، الطبعة الأولى، 1997.
18.محمد عاطف غيث،قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،1995.
19.مهران حمدي، المواطنة والمواطن في الفكر السياسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، الطبعة 1 2012.
20.الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة إعمال للنشر والتوزيع، الرياض، دون ذكر الطبعة،1996.

21. ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر:عادل الهواري، وسعد مصلوح، مكتبة الفلاح،الكويت، الطبعة1994،1، ص110.

22. وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، د.ط، 2007.

23. Groy John , Liberalism, 2nd (ed), open university press,Buckingham, 1995

24. Hobbes Thomas, Leviathan : THE Collected English Works Of Thomas Hobbes edit : William Moles worth, Vol III, Routtledge & Thoemmes Press, London, 1997.

25. Locke (john), Two Tratises of Government: The Works of Joh Locke, 12th Edit, Vol IV, J. Rivington & Others, London, 1824.

26. Ranny austin ،governing and introduction to political science، 6th ed، prentice hall ine، new jersey › 1993.

27. Ricoeur , paul..***La critique et la conviction***. clamannt -Lévy ,paris, 1995.

28. Turner (bar yans) & Hamilton (P) editors, "citizenship: criticol concepts" vol. I, Routledge, London and New York 1994 .